الخصائص اللغوية لقبيلة بني الحارث بن كعب القحطانية

د / محمد علام محمد
المدرس بقسم أصول اللغة
بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر أسيوط

العرب تقول : بلحارث ، وبلعنبر • يريدون : بنى الحارث ، وبنى العنبر ، فيحذفون الياء ، لسكونها وسكون اللام من بعدها ، ثم يحذفون النون لأمرين : أحدهما كثرة الاستعمال ، والآخر مشابهة النون اللام لتقاربهما فى المخرج ، فتحذف كما يحذف أحد المثلين فى نحو : أحست ، وظلت (١) •

وانما حصل الحذف لتعذر الادغام ، لأن الأول وهو النون فى « بنى » متحرك ، والثانى وهو حرف التعريف ساكن سكونا لازما • ومن شرط الادغم تحريك الثانى اذا أدغم الأول فيه • فجعل الحذف بدلا من الادغام ، لما تعذر ، لكونه مؤديا الى التخفيف المطلوب •

والدليل على أن المراد فى قولهم : بلحارث ، وبلعنبر ، ما ذكرناه : أن التنوين لا يصحب كسرة الثاء فى : بلحارث ، ولا كسرة الراء فى : بلعنبر •

---

(١) أحست • أصله : أحسست ، ألقيت منه سينه الأولى • وظلت • أصله : ظللت ، ألقيت منه لامه الأولى • وكذلك فى قوله تعالى : « وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا » ؛ وقوله : « فظلتم تفكهون » • وقرىء : « فظلتم » • وانظر : المبهج لابن جنى ص ١٤ •

ولا يقولون مثل هذا فى « بنى النجار » ، لأن اللام قد أدغمت فى النون التى بعدها ، فلا يمكن تقدير ادغام النون التى قبلها فيها ، كما لا يمكن حذف هذه النون حتى لا يجمعوا عليه اعلالين : الادغام والحذف .

ويقول سيبويه « ت ١٨٠ هـ » فى ذلك : « ومن الشاذ قولهم فى بنى العنبر وبنى الحارث : بلعنبر وبلحارث ، بحذف النون . وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة . فأما اذا لم تظهر اللام فيها فلا يكون ذلك ، لأنها لما كانت مما كثر فى كلامهم ، وكانت اللام والنون قريبتى المخارج ، حذفوها وشبهوها بمست ، لأنهما حرفان متقاربان ، ولم يصلوا الى الادغام كما لم يصلوا فى مسست لسكون اللام . وهذا أبعد ، لأنه اجتمع فيه أنه منفصل وأنه ساكن لا يتصرف تصرف الفعل حين تدركه الحركة » (٢) .

ويقول المبرد « ت ٢٨٥ هـ » : « ومما حذف استخفافا ، لأن ماظهر دليل عليه ، قولهم فى كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل : بنى الحارث ، وبنى الهجيم ، وبنى العنبر ، هو بلعنبر ، وبلهجيم ، فيحذفون النون لقربها من اللام ، لأنهم يكرهون التضعيف ، فان كان مثل : بنى النجار ، والنمر ، والتيم ، لم يحذفوا ، لئلا يجمعوا عليه علتين الادغام والحذف » (٣) .

---

(٢) كتاب سيبويه ٤/٤٨٤ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ ط ٢ ١٩٨٢م .

(٣) المقتضب ١/٣٨٦ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ـ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . القاهرة ١٣٩٩م .

كما يقول المبرد أيضا : « وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة ، فانهم يجيزون معه حذف النون التى فى قولك : « بنو » ، لقرب مخرج النون من اللام ، وذلك قولك : فلان من بلحارث وبلعنبر وبلهجيم » (٤) .

ويقول كذلك : « ومن كلام العرب أن يحذفوا النون اذا لقيت لام المعرفة ظاهرة ، فيقولون فى بنى الحارث ، وبنى العنبر ، وما أشبه ذلك ، بلحارث ، وبلعنبر ، وبلهجيم » (٥) .

ويقول الزجاجى « ت ٣٤٠ هـ » : « ومن الشاذ قولهم فى بنى العنبر ، وبنى الحارث : بلعنبر ، وبلحارث ، فيحذفون النون ، وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها اللام للتعريف » (٦) .

ويقول الجوهرى « ت ٣٩٣ هـ » : « وقولهم : بلحارث ، لبنى الحارث بن كعب ، من شواذ التخفيف ، لأن النون واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الادغام لسكون اللام ، حذفوا النون ... وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل : بلعنبر ، وبلهجيم . فاذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك » (٧) .

---

(٤) الكامل فى اللغة والأدب ٢٩٩/٣ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ١٩٥٦م .

(٥) المصدر السابق ٣٦٠/٣ .

(٦) الجمل فى النحو ص ٤١٨ تحقيق د. على توفيق الحمد ـ ط (٢) بيروت ١٩٨٥م .

(٧) الصحاح (حرث) ٢٧٩/١ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ ط دار العلم للملايين . بيروت .

وأخيرا يقول ابن يعيش « ت ٦٤٣ هـ » : « ومما حذف استخفافا على غير قياس ، لأن ما ظهر دليل عليه ، قولهم في كل قبيلة تظهر فيها لأم المعرفة ، ولا تدغم ، نحو : بنى العنبر ، وبنى العجلان ، وبنى الهجين : هؤلاء بلعنبر ، وبلعجلان ، وبلحارث ، وبلهجين ، فحذفوا النون لقربها من اللام ، وهم يكرهون التضعيف ، اذا ايساء الفاصلة تسقط ، لالتقاء الساكنين ، ولا يفعلون ذلك في بنى النجار ، وبنى النمر ، وبنى التيم ، لئلا يجمعوا عليه اعلالين : الادغام والحذف » (٨) .

وهذه الظاهرة تعرف في اللغة العربية بـ « النحت » ، ومعناه : « أن تعمد الى كلمتين أو جملة فتنتزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها » (٩) .

وهو جنس من الاختصار ، طلبا لسهولة التعبير وايجازه . ومنه قولهم : رجل عبشمى ، منسوب الى عبد شمس ، وعبد رى ، منسوب الى عبد الدار .

نسب بلحارث بن كعب :

تنسب قبيلة بلحارث بن كعب الى جدها الأكبر : الحارث بن كعب بن عمرو ابن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ (١٠) .

---

(٨) شرح المفصل ١٠/١٥٥ ـ ط ـ عالم الكتب . بيروت .

(٩) انظر : الصاحبى لابن فارس ص ٤٦١ تحقيق السيد أحمد صقر ـ ط عيسى الحلبى . القاهرة ، وعوامل التطور اللغوى : د. أحمد عبد الرحمن حماد ص ٣٤ ـ ط (١) بيروت ١٩٨٣م .

(١٠) الأنساب للسمعانى ص ١٤٩ ـ نشر مكتبة المثنى ببغداد ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى ص ٤١٦ ـ ط دار الكتب العلمية . بيروت ١٩٨٣م .

من نسله : بنو الديان « رؤساء نجران » ، وشريح بن هانىء « من أصحاب علي ، رضى الله عنه » ، وأبو عبد الله رافع بن خديج ، ومطرف بن طريف الحارثي ، وآخرون : كلهم حارثيون كهلانيون (١١) .

وقبيلة بلحارث بن كعب هي في الأصل احدى القبائل القحطانية اليمنية ، فهي بطن من مذحج ، وهو مالك بن أدد الذي ينتهي نسبه الى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وتمت لأصل قبيلة حلفية بصلة (١٢) .

كانت هذه القبيلة من أشهر القبال اليمنية ، وأعظمها شأنا ابان ظهور الاسلام . شهرت بالغنى والجمال والقوة .

ومن بطونها : بنون قنان بن سلمة(١٣) ، ومنهم القنانى الذى تفرد ابن السكيت «ت ٢٤٤ هـ» بنقل لغته عن الفراء «ت ٢٠٧ هـ» (١٤)، والضباب (١٥) .

---

(١١) الأنساب للسمعاني ص ١٤٩ ، والروض الأنف للسهيلي ٢/٤٥ ـ نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧١م ، والأعلام للزركلي ٢/١٥٧ ـ ط (٣) بيروت .

(١٢) الاشتقاق لابن دريد ص ٣٦١ ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٥٦م .

(١٣) لسان العرب لابن منظور (قنن) ٥/٣٧٥٩ ط دار المعارف بمصر ، ومعجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ٣/٩٦٦ ـ ط (٣) مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م .

(١٤) انظر : اصلاح المنطق ١٠١ ، ١٥١ ، ٣٣٤ ط دار المعارف بمصر .

(١٥) العقد الفريد ، لابن عبد ربه ٣/٣٣٤ تحقيق د. عبد المجيد الترحيني ـ ط (١) ١٩٨٣م .

وكان بنو الحارث بن كعب يهتمون اهتماما بالغا بالحيوان ، فقد روى أنهم كانوا اذا مات غزال قاموا اليه فغسلوه ، وكفنوه ثم دفنوه، ولبسوا عليه الحداد سبعة أيام كأحد أفراد القبيلة (١٦) .

مكان اقامة بني الحارث بن كعب وديانتهم :

أقام بنو الحارث بن كعب فى مقاطعة نجران من اليمن ، وكانوا جيرانا لبنى ذهل بن مزيقياء بن الأزد ، وبنى حارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد (١٧) .

وكانت نجران قبلهم لجرهم ، ثم نزلها بنو الحارث بن كعب ، فغلبوا عليها بنى الأفعى ، ثم خرجت الأزد من اليمن ، فمروا بهم ، وكانت بينهم حروب ، وأقام من أقام فى جوارهم من بنى نصر بن الأزد وبنى ذهل بن مزيقياء ، واقتسموا الرياسة ، فنجران منهم .

وبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خالد بن الوليد الى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام ، وكان لهم بنجران كعبة يعظمونها ، وأن قسما منهم قد عبدوا « يغوث » ، وقسما اعتنق النصرانية ، وقسما آخر اعتنق اليهودية (١٨) .

---

(١٦) النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب : محمد محمود جمعة ص ١٠٤ — ط السعادة بالقاهرة ١٩٤٩م .

(١٧) صبح الأعشى للقلقشندى : ٣٢٦/١ — ط دار الكتب ١٩٢٢م، وصفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٥٣ — ط ليدن ، واللهجات العربية فى التراث : د. أحمد علم الدين الجندى ٤١/١ — ط الدار العربية للكتاب — طرابلس — ليبيا .

(١٨) معجم قبائل العرب ١٠٢/١ ، ٢٣١ .

وقبيلة بنى الحارث بن كعب من القبائل البدوية (١٩) ، التى أقامت ـ كما ذكرنا ـ فى شمال اليمن •

فصاحة بالحارث :

لغة بنى الحارث بن كعب هى احدى اللغات « النهجات » اليمنية المعروفة ، التى جاءت فى القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، وأقوال بعض الصحابة والأئمة ، رضى الله عنهم ، كما سنرى فيما بعد •

وقد وصفت اللغات اليمانية بالفصاحة ، يقول الفراء «ت ٢٠٧ هـ»: وقرأ قوله : « لقد كان لسباء فى مسكنهم »(٢٠) يحيى « فى مسكنهم » وهى لغة يمانية فصيحة » (٢١) •

كما أن لغة اليمن من اللغات السبع الكافية الشافية • فقد صرح الحديث بأن القرآن « أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف » (٢٢) • وليس الحرف هنا الا اللغة ، « يعنى على سبع لغات من لغات العرب ، أى أنها مفرقة فى القرآن فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن ••• » (٢٣) •

---

(١٩) د• أحمد علم الدين الجندى : اللهجات العربية فى التراث ١ / ٩٨ •

(٢٠) سورة سبأ : الآية ١٥ •

(٢١) معانى القرآن ٢/٣٥٧ تحقيق محمد على النجار ـ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة •

(٢٢) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ١/٢٥٠ ـ المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣١٨هـ ، وانظر : صحيح البخارى : كتاب فضائل القرآن ٣/٢٢٦ ، ٢٢٧ ـ ط عيسى البابى الحلبى •

(٢٣) النهاية لابن الأثير ١/٢٥٠ ، ٢٥١ •

فلغة اليمن مما جاء به القرآن اذن ، ومما يدخل فى « كفاية » اللغات العربية السبع « وشفايتها » .

هذا ، وقد انعقد الاجماع على « أن اللغة اذا وردت فى القرآن فهى أفصح مما فى غير القرآن ، لا خلاف فى ذلك » (٢٤) .

ومن ثم فلغة بنى الحارث بن كعب ـ فيما نعتقد ـ احدى اللغات الفصيحة ، لما ذكر . وقد عرفت بلحارث بمجموعه من الخصائص اللغوية ، نوردها فيما يلى ، ومنها :

١ ـ الزام المثنى الألف مطلقا :

من المعروف فى اللغة الفصحى أن المثنى يرفع بالألف ، وينصب ويجر بالياء ، يقال : جاء الرجلان ، ورأيت الرجلين ، ومررت بالرجلين.

أما بنو الحارث بن كعب ، فانهم يلزمون المثنى وما جرى مجراه الألف مطلقا ـ رفعا ونصبا وجرا ـ فيطرد الباب على وتيرة واحدة ، يقولون : جاز الزيدان ، ورأيت الزيدان ، ومررت بالزيدان ، فتكون التثنية فى الرفع والنصب والجر على حال واحدة .

وعلى لغتهم هذه قرأ نافع وابن عامر والكوفيون الا حفصا قوله تعالى : « ان هذان لساحران » (٢٥) بتشديد النون « ان » ، و « هذان » بألف خفيفة النون (٢٦) .

---

(٢٤) المزهر للسيوطى ٢١٣/١ ـ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ـ ط عيسى الحلبى . القاهرة .

(٢٥) سورة طه : الآية ٦٣ .

(٢٦) انظر : السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص ٤١٩ ـ تحقيق

وقرأ أبو سعيد الخدري والجحدري : « فكان أبواه مؤمنان »(٢٧)

وعلى هذه اللغة ورد قوله « صلى الله عليه وسلم » . « لا وتران في ليلة » (٢٨) .

ولم يكن هذا الحديث الوحيد على اللغة المذكورة ؛ فقد جاء عليها أيضا قوله « صلى الله عليه وسلم » : « اياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان » (٢٩) ، اذ المثنى في موضع نصب هنا ، وكذا قوله « صلى الله عليه وسلم » : « اني واياك وهذان وهذا ، في مكان واحد يوم القيامة » (٣٠) .

=

د. شوقي ضيف ـ ط دار المعارف ـ ط (٢) ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٦/٢٥٥ ـ ط (٢) ١٩٨٣م دار الفكر ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣٢٠ ، ٣٢١ ـ ط دار الفكر .

(٢٧) سورة الكهف : الآية ٨٠ ـ تفسير البحر المحيط ٦/١٥٥ .

(٢٨) سنن النسائي : ٣/٢٣٠ .

(٢٩) شواهد التوضيح : ابن مالك : ص ٩٨ ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط (٣) ١٩٨٣م . وانظر : اعراب الحديث النبوي : العكبري : ص ١٢٤ ، ١٢٥ ـ ١٢٥ ـ تحقيق عبد الاله نبهان ـ ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٧م .

(٣٠) المصدر السابق ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، وشواهد التوضيح ص ٩٨ ، وقال ابن مالك في الصفحة ذاتها عن هذا الحديث والذي قبله : « أخرجهما أبو الفرج في (جامع المسانيد) » .

وقول عبد الرحمن بن أبى بكر « رضى الله عنه » : « وكان بيننا وبين قوم عقد ، فمضى الأجل ففرقنا اثنا عشر رجلا ... » (٣١) .

يقول ابن مالك « ت ٦٧٢ هـ » : « مقتضى الظاهر ان يقول : « مفرقنا اثنى عشر رجلا » ، لأن « اثنى عشر » حال من النون والألف . ولكنه جاء بالألف على لغة بنى الحارث بن كعب . فانهم يلزمون المثنى ، وما جرى مجراه ، الألف فى الأحوال كلها ، لأنه عندهم بمنزلة المقصور » (٣٢) .

وقول أم رومان ، وهى أم عائشة « رضى الله عنها » : « بينما أنا مع عائشة جالستان » (٣٣) .

فجالستان حال ، وكان حقه لو جاء على اللغة المشهورة ، ان تكون بالياء ، لكنه جاء على اللغة حارثية(٣٤) .

وحكى عن أصحاب هذه اللغة قولهم : « هذا خط يدا أخى بعينه » (٣٥) .

ومن شواهد هذه اللغة ، قول هوبر الحارثى :

---

(٣١) صحيح البخارى : كتاب مواقيت الصلاة : باب السمر مع الضيف والأهل ١/١١٣ .

(٣٢) شواهد التوضيح ص ٩٧ .

(٣٣) صحيح البخارى : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : « لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين » ٢/٢٤٢ .

(٣٤) شواهد التوضيح ص ٩٧ .

(٣٥) معانى القرآن للفراء : ٢/١٨٤ .

تزود منا بين أذناه ضربة دعته الى هابى التراب عقيم (٣٦)

وقول المتلمس الضبعى :

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما (٣٧)

وقول الراجز :

أعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا (٣٨)

---

(٣٦) البيت من الطويل . وموضع هابى التراب : كأن تراب مثل الهباء فى الرقة . والهابى من التراب : ما ارتفع ودق . والشاهد فيه قوله : « بين أذناه » حيث جاء به على لغة قومه (بنى الحارث ابن كعب) فى الزام المثنى الألف مطلقا . وانظره فى : جمهرة اللغة ٣٢٣/٢ ط (١) ١٣٤٤هـ ، والصاحبى ص ٢٩ ، والصحاح ٢٥٣٢/٦ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٦٦/١ تحقيق د. عبد الرحمن السيد ط (١) ١٩٧٤م ، ولسان العرب ٢٢٦٨/٣ ، ٢٤٣٣ ، ٤٦٠٩/٦ .

(٣٧) البيت من الطويل ، وفيه يعاتب الشاعر خاله الحارث بن النوأم اليشكرى . الشجاع : الذكر من الحيات . صمم : عض فى العظم . والشاهد فيه قوله « لناباه » حيث جاء على اللغة المذكورة . وانظره فى : معانى القرآن للفراء : ١٨٤/٢ ، والأصمعيات : ص ٢٤٦ ـ تحقيق عبد السلام هارون ، وشاكر ـ ط دار المعارف ، وديوانه ص ٣٤ .

(٣٨) هذا الرجز لرجل من بنى ضبة . والمنخر : مثال مسجد خرق الأنف وأصله موضع النخير وهو الصوت من الأنف . والشاهد فيه قوله « العينانا » ، و « ظبيانا » حيث جاء المثنى بالألف فى حالة النصب على اللغة الحارثية . وانظره فى : سر صناعة الاعراب لابن جنى ٤٨٩/٢ ، ٧٠٥ ، والنوادر فى اللغة لأبى زيد ص ١٦٨ .

وما رُوى عن قطرب « ت ٢٠٦ هـ » :

هياك أن تمنى بشعشعان خب الفؤاد مائل البدان (٣٩)

وقول الآخر :

ان أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها (٤٠)

هذا وقد عزا هذه الظاهرة الى بنى الحارث بن كعب وحـــدهم : الفراء (٤١) « ت ٢٠٧ هـ » وأبو زيد الأنصارى (٤٢) « ت ٢١٥ هـ » ، والأخفش (٤٣) « ت ٢٢١ هـ » ، وابن خالويه (٤٤) « ت ٣٧٠ هـ » ، وابن فارس (٤٥) « ت ٣٩٥ هـ » ، ومكى بن أبى طالب (٤٦) « ت ٤٣٧ هـ »،

---

(٣٩) هذا الرجز لم أقف على قائله . والشعشعان : طويل العنق . وخب الفؤاد : الخداع المفسد . والشاهد فيه قوله : « مائل البدان » حيث جاء المثنى بالألف فى حال الجر بالاضافة ، وذلك على اللغة المذكورة أيضا . وانظـره فى : سر الصـــناعة ٢/٥٥٢ ، ٧٠٥ ، وخزانة الأدب ٣ / ٧٣٧ .

(٤٠) هذا الرجز لأبى النجم ، وقيل لرؤبة بن العجاج . والمراد بالغايتين : الطرفان من شرف الأبوين . والشاهد فيه قوله « غايتاها » فهو مثنى منصوب بالألف على لغة بلحارث بن كعب . وانظـره فى : شرح جمل الزجـاجى ١/١٥١ ، وشرح المفصـــل لابن يعيش ١/٥٣ ، ٣/١٢٩ .

(٤١) معانى القرآن ٢/١٨٤ .

(٤٢) النوادر فى اللغة ص ٥٨ .

(٤٣) معانى القرآن ٢/٦٢٩ .

(٤٤) ليس فى كلام العرب : ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٤٥) الصـــاحبى ص ٢٩ .

(٤٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٩٩ ، ١٠٠ ، ومشكل اعراب القرآن ١/٢٣٢ ، ٢/٤٦٦ .

والأنبـــارى (٤٧) « ت ٥٧٧ هـ » ، وابن مالك (٤٨) « ت ٦٧٢ هـ » ، ورضى الدين محمد بن الحسن (٤٩) « ت ٦٨٦ هـ » ، والسلسيلى (٥٠) « ت ٧٧٠ هـ » ، والبغدادى (٥١) « ت ١٠٩٣ هـ » .

على حين نسبها بعض العلماء الى بنى الحارث وغيرهم . يقول ابن جنى « ت ٣٩٢ هـ » : « على أن من العرب من لا يخاف اللبس ، ويجرى الباب على أصل قياسه ، فيدع الألف ثابتة فى الأحوال الثلاث ، فيقول : قام الزيدان ، وضربت الزيدان ومررت بالزيدان ، وهم بنـــو الحارث بن كعب ، وبطن من ربيعة » (٥٢) .

ويقول ابن مالك « ت ٦٧٢ هـ » فى شرح التسهيل : « ولغـــة بنى الحارث بن كعب الزام المثنى وما جرى مجراه الألف فى كل حال ... ووافق فى ذلك الحارثيين بنو الهجيم وبنو العنبر » (٥٣) . نقل ذلك عن ابن درستويه « ٣٤٧ هـ » .

ويقول أبو حيان الأندلسى « ت ٧٤٥ هـ » فى تخريج قوله تعالى : « ان هذان لساحران » : « والذى نختاره فى تخريج هذه القراءة أنها

---

(٤٧) الانصـــاف ٣٦/١ .

(٤٨) شواهد التوضيح : ص ٩٧ ، ٩٨ ، وشرح الكافية الشافية : ١٨٨/١ ، ١٨٩ .

(٤٩) شرح الكافية فى النحو : ١٧٢/٢ .

(٥٠) شفاء العليل فى ايضاح التسهيل ١٣٨/١ .

(٥١) خزانة الأدب ٣٣٦/٣ .

(٥٢) سر صناعة الاعراب ٧٠٤/٢ ، ٧٠٥ .

(٥٣) شرح التسهيل ٦٦/١ .

جاءت على لغة بعض العرب من اجراء المثنى بالألف دائما ، وهي لغة لكنانة حكى ذلك أبو الخطاب ، ولبنى الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية حكى ذلك عن الكسائى ، ولبنى العنبر وبنى الهجيم ومراد وعذرة » (٥٤) .

ويقول المرادى « ٧٤٩ هـ » : « فى المثنى وما ألحق به لغة أخرى، وهى لزوم الألف رفعا ونصبا وجرا ، وهى لغة بنى الحارث بن كعب ، وقبائل أخرى » (٥٥) .

ويقول السيوطى « ت ٩١١ هـ » : « ولزوم الألف فى الأحوال الثلاثة « فى المثنى » لغة معروفة عزيت لكنانة ، وبنى الحارث بن كعب ، وبنى العنبر ، وبنى الهجيم ، وبطون من ربيعة ، وبكر بن وائل ، وزبيد ، وخثعم ، وهمدان ، ومراد ، وعذرة » (٥٦) .

من العرض السابق نرى أن ظاهرة الزام المثنى الألف قد نسبت الى بلحارث بن كعب ، وخثعم ، وزبيد وهمدان ، ومراد ، وعذرة ،وهذه قبائل يمنية غربية . ولكننا نجد قبائل من الشرق تشترك معهم فى تلك الظاهرة ، فقد عزيت الظاهرة أيضا الى قبائل شرقية مثل : ربيعة ، وبكر بن وائل ، وبنى العنبر .

واذا علمنا أنه من الصعوبة تحديد الظاهرة اللهجية ببيئة جغرافية أو طبقة اجتماعية ، وذلك لأن انطباق الحدود الادارية والسياسية « حديثا » أو الجغرافية « حديثا وقديما » والقبيلة « قديما » على

---

(٥٤) تفسير البحر المحيط ٦/٢٥٥ .

(٥٥) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ١/٩٠ .

(٥٦) همع الهوامع ١/٤٠ .

حدود الظاهرة اللهجية أمر قد لا يصدقه الواقع ، فبينما نجد ظاهرة لهجية فى قبيلة قد نجدها لدى قبيلة أخرى ، بينما يختلفان فى ظاهرة أخرى ، وكذلك الأمر بالنسبة للحدود الادارية والسياسية فبينما نجد الظاهرة اللهجية فى مصر نجدها فى سورية ، وبينما نجد ظاهرة لهجية فى منطقة نجدها فى منطقة أخرى بعيدة عنها تماما ، فالخطوط الفاصلة بين اللهجات لا تكون بالضرورة هى الحدود الفاصلة بين المناطق اللاهجة بها اداريا أو سياسيا حتى شبهوا اللهجات فى ذلك ببساط تفتحت ألوانه المتنوعة فاختلط بعضها ببعض وصار من العسير التمييز بينها ، كما شبهوها بأمواج تمتد على سطح الأمة ، وكل موجة فى تقدمها التدريجى غير المحسوس ليس لها حد معين يدرك الباحث معه من أين تبدا ولا الى أين تنتهى (٥٧) .

واذا علمنا أيضا أن معظم القبائل التى وافقت بنى الحارث بن كعب فى هذه الظاهرة اللهجية قبائل بدوية تقوم حياتها على التنقل والارتحال من مكان الى آخر — شأن البدو دائما — أدركنا أنه من اليسير أن تنتقل هذه الظاهرة اللهجية من بنى الحارث ابن كعب الى غيرهم من القبائل الأخرى ، « وذلك لأن العرب وان كانوا كثيرا منتشرين ، وخلقا عظيما فى أرض الله غير متحجرين ولا متضاغطين ، فانهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة فى دار واحدة . فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعى أمر لغته » (٥٨) .

---

(٥٧) انظر : محاضرات فى اللهجات العربية ، د. عبد محمد الطيب ص ٤٧ .

(٥٨) الخصائص لابن جنى ٢/١٥ ، ١٦ .

موقف العلماء من هذه الظاهرة :

على الرغم من شيوع هذه الظاهرة ووضوحها فاننا نجد من العلماء من يقول بانكارها ، ومن هؤلاء المبرد « ت ٢٨٥ هـ » .

يقول أبو جعفر النحاس « ت ٣٣٨ هـ » : « هذه اللغة معروفة ، وقد حكاها من يرتضى بعلمه وأمانته ، ومنهم : أبو زيد الأنصارى — وهو الذى يقول : اذا قال سيبويه حدثنى من أثق به فانما يعنينى — وأبو الخطاب الأخفش — وهو رئيس من رؤساء اللغة — والكسائى ، والفراء كلهم قالوا هذا على لغة بنى الحارث بن كعب » (٥٩) .

وقد أنكر المبرد « ت ٢٨٥ هـ » هذه اللغة (٦٠) ، وهو محجوج بنقل الأئمة السابقين ، وبقول الفراء « ت ٢٠٧ هـ » فى معانيه : « وذلك — وان كان قليلا — أقيس ، لأن العرب قالوا : مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة « لأن الواو لا تعرب » ثم قالوا : رأيت المسلمين فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم . فلما رأوا أن الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها ، وثبت مفتوحا : تركوا الألف تتبعه ، فقالوا : رجلان فى كل حال .

وقد اجتمعت العرب على اثبات الألف فى كلا الرجلين فى الرفع والنصب والخفض وهما اثنان ، الا بنى كنانة فانهم يقولون : رأيت كلى الرجلين ، ومررت بكلى الرجلين . وهى قبيحة قليلة ، مضوا على القياس » (٦١) .

---

(٥٩) اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ٣/٤٥ ، ٤٦ .

(٦٠) انظر : شرح المرادى لألفية ابن مالك ١/٩٠ ، وشرح الأشمونى على الالفية ١/٧٩ .

(٦١) معانى القرآ ٢/١٨٣ .

ومن أبين ما فى هـذا قول سيبويه « ت ١٨٠ هـ » : « واعلم أنك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان : الأولى منهما حرف المدواللين وهى حرف الاعراب » (٦٢) • فقول سيبويه : وهو حرف الاعراب ، يوجب أن الأصل فى المثنى ألا يتغير ، فيكون ما جاء على هذه اللغة جاء على أصـــله •

ويفسر ابن جنى « ت ٣٩٢ هـ » هذه الظاهرة فيقول : « أخبرنا أبو على(٦٣) عن أبى بكر(٦٤) عن أبى العباس(٦٥) عن أبى عثمان(٦٦) عن أبى زيد (٦٧) قال : سألت خليلا عن الذين قالوا : مررت بأخواك ، وضربت أخواك ، فقال : هؤلاء قولهم على قياس الذين قالوا فى بيأس: ياءس ، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها ••• ثم يقول : يجوز أن يريد أنهم أبدلوا ياء أخويك فى لغة غيرهم ممن يقولها بالياء ، وهم أكثر العرب ، فجعلوا مكانها ألفا فى لغتهم ، استخفافا للألف ، فأما فى لغتهم هم فلا • وذلك أنهم لم ينطقوا قط بالياء فى لغتهم فيبـــدلوها ألفـــا ولا غيرها •

ويؤكد ذلك عندك أن أكثر العرب يجعلونها فى النصب والجر ياء• فلما كان الأكثر هذا شاع على أســـماع بلحارث ، فراعوه ، وصنعوا لغتهم فيه ، ولم تكن الياء فى التثنية شـــاذة ولا دخيلة فى كلام العرب

---

(٦٢) الكتـــاب ١/١٧ •
(٦٣) هو أبو على الفارسى (ت ٣٧٧هـ) •
(٦٤) هو أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ) •
(٦٥) هو أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) •
(٦٦) هو أبو عثمان المازنى (ت ٢٤٩هـ) •
(٦٧) هو أبو زيد الأنصارى (ت ٢١٥هـ) •

فيقل الحفل بها ، ولا ينسب بلحارث الى أنهم راعوها ، أو تخيروا للغتهم عليها ... وأجاز أبو الحسن « الأ خفش » أن يكون كانت العرب قدما تقول : مررت بأخويك وأخواك جميعا ، الا أن الياء كانت أقيس للفرق ، فكثر استعمالها ، وأقام الآخرون على الألف ، أو أن يكون الأصل قبله الياء فى الجر والنصب ، ثم قلبت للفتحة قبلها ألفا فى لغة بحارث بن كعب » (٦٨) .

فابدال الألف من الياء فى قول بلحارث : مررت بأخواك ، وضربته أخواك مرجعه الى التخفيف ، بأن تصير الياء الساكنة بعد قلبها ألفا مجانسة لحركة الحرف الذى قبلها وهو الفتح ، وذلك اذا علمنا أن الفتحة جزء من الألف .

وهذا القلب غير مقيس وغير مطرد ، فقد قالوا فى النسب الى طيىء : طائى . والأصل : طيىء ، قلبت الياء ألفا لينة على غير قياس طلبا للتخفيف ، كما قالوا فى ييأس ، ويوجل : ياءس ، وياجل ، اجراء الساكن مجرى المتحرك .

ويقول ابن جنى « ت ٣٩٢ هـ » : « وقد حملهم طلب الخفة على أن قالوا فى الحيرة : حارى ، وفى طيىء : طائى . وحكى أبو زيد عن بعضهم فى تصغير دابة : دوابة . يريد : دويبة فأبدل من ياء التصغير الساكنة ألفا » (٦٩) .

ويرى بعض الباحثين أن ظاهرة الزام المثنى الألف فى الحالات الثلاث يمكن تفسيرها بانكماش صوت اللين المركب ، الذى يسميه

---

(٦٨) انظر : الخصائص ٢/١٤ ، ١٦ .

(٦٩) سر صناعة الاعراب ٢/٦٨٨ .

المحدثون Diphtong (٧٠) والأصوات المركبة فى اللغة العربية هى : الواو والياء المسبوقتان بالفتحة ، فى مثل : « قول ، و « بيت » ، فان الملاحظ فى تطور اللغات هو انكماش هذه الأصوات ، فتتحول الواو المفتوح ما قبلها الى ضمة طويلة ممالة ، كقولنا فى اللهجة المصرية العامية مثلا : يوُم ، وصُوم ، ونُوم ، وبدلا من يَوم ، وصَوم ، و نوم •

وتتحول الياء المفتوح ما قبلها الى كسرة طويلة ممالة ، كقولنا فى اللهجة المصرية أيضا : بِيت ، ولِيل ، و عِين ، بدلا من بَيت ، ولَيل ، وعَين •

ثم تتطور هذه الأصوات الى مرحلة أخرى يتم فيهـا التحول من الامالة الى الفتح الخالص • ومثل هذا نلاحظه فى نطق المثنى فى عاميتنا المصرية ، فنحن نقول : رجلين Rajulain بتحول الياء المفتوح ما قبلها الى كسرة طويلة ممالة بدل من رجلين Rajulayn ثم تتحول هذه الكسرة الطويلة الممالة الى فتحة طويلة خالصة « رجلان » •

كما نلاحظه أيضا فى تطور عبـارة : « السـلام عليكم » الى « السلام علاكم » فى بعض لهجات الخطاب القديمة والحديثة ، فقـد مرت هذه اللهجات بامالة أولا ، ثم الفتح الخالص (٧١) •

وفى قول بعض العرب : « ان الرجز لعاب ، أى : اهيب • والرجز: ارتعاد مؤخر البعير » (٧٢) ، كما جاء فى قولهم :

---

(٧٠) فى اللهجات العربية : د• ابراهيم أنيس ص ١٤٣ •

(٧١) انظر : بحوث ومقالات فى اللغة : د• رمضان عبد التـواب ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ •

(٧٢) النوادر فى اللغة لأبى زيد ص ٣ •

تبت اليـك فتقبـل تابتي وصمت ربي فتقبل صامتي

أى : توبى وصومتى (٧٣) .

ومثل لهجة بنى الحارث بن كعب ــ فى الزام المثنى الألف مطلقا ــ الطور الثالث لصوت اللين المركب . وقد اتخذت اللغة النموذجية احوال المثنى من لهجات مختلفة ، ثم خصص النحاة حالة الياء بالنصب والجر، وحالة الألف بالرفع (٧٤) .

ويقول أستاذنا الدكتور عبد الغفار هـلال فى رده على هـذا الكلام : « ان هذا التحول يمكن اذا كانت الألف لم توجد فى اللهجات العربية الأخرى لكنا واقعة فى بعض جوانب الاعراب وهو حالة النصب فليسنا بحاجة الى هذا التحليل الغريب الذى لا دليل عليه .

وكذلك أخذ أوجه الاعراب من لهجات متعددة لا دليل أيضـا ، وليس من عمل النحاة كما ادعى هذا الكاتب » (٧٥) .

ونحن نرى أن التزام المثنى للألف والنون أسـلوب فى الكلام يمثل لغة قسم كبير من العرب وهو بذلك مسألة من مسائل اللهجات الاقليمية .

هذا ، وليس قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفا : فى لغة بنى الحارث بن كعب ، خاصا بالمثنى فقط ، فقد ورد ذلك فى غير المثنى، أنشد بعض أهل اليمن :

---

(٧٣) سر صناعة الاعراب ٦٦٨/٢ ، ٦٦٩ .

(٧٤) فى اللهجات العربية : د. ابراهيم أنيس ص ١٤٣، ١٤٤ .

(٧٥) اللهجات العربية : ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

أى قلوص راكب تراها طاروا علاهن فطر علا (٧٦)

أى : عليهن وعليها •

وورد عن أصحاب هذه اللهجة قولهم فى اليك وعليك ولديك : الاك وعلاك ، ولداك (٧٧) •

وعلى هذه اللغة أيضا جاء قوله تعالى : « ولا أدراكم به » (٧٨)• قال أبو حاتم : يريد الحسن فيما أحسب « ولا أدريتكم به » فأبدل من الياء ألفا على لغة بنى الحارث بن كعب ، يبدلون من الياء ألفا اذا انفتح ما قبلها (٧٩) •

٢ ــ قصر بعض الأسماء الستة :

من الأسماء الستة : أب ، وأخ ، وحم ، وفيها ثلاث لغات ، أشهرها أن تكون بالواو والألف والياء ، رفعا ونصبا وجرا على التوالى ، مثل : هذا أبوك ، ورأيت أباك ، ومررت بأبيك •

والثانية أن تكون بالألف مطلقا « فى الأحوال الثلاثة » ويجعل الاعراب بالحركات المقدرة فى الألف ، وتعرف هذه بلغة القصر ، تقول : هذا أباه ، ورايت أباه ، ومررت بأباه •

---

(٧٦) النوادر في اللغة : ص ٥٨ ، لسان العرب : (علا) ٣٠٩٢/٤ •

(٧٧) انظر : كتاب سيبويه : ٤١٢/٣ ، ٤١٣ ، والمصباح المنير (الى) ٢١/١ ، والمفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : د• جواد على ٥٧٩/٨ ، واللهجات العربية : د• عبد الغفار هلال ص ٣١٤ •

(٧٨) سورة يونس : الآية ١٦ •

(٧٩) تفسير القرطبى : المجلد الرابع / ٣٢٤٧ •

والثالثة أن تحذف منها الأحرف الثلاثة « الواو والألف والياء » وهذا نادر • وهى لغة النقص ، تقول : هذا أبه ، ورأيت أبه ، ومررت بأبه • فتستعمل استعمال يد ودم •

وقد نسبت اللغة الثانية « لغة القصر » الى بنى الحارث بن كعب (٨٠) •

يقول ابن مالك « ت ٦٧٢ هـ » : « ومن لغتهم أيضا قصر الأب والأخ » (٨١) • ومن شواهد هذه اللغة ما ثبت فى صحيح البخارى من حديث أنس « رضى الله عنه » قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يوم بدر : « من ينظر ما فعل أبو جهل ؟ » • فانطلق ابن مسعود « رضى الله عنه » فوجده قد ضربه ابنا عفراء ، حتى برد فأخذ بلحيته فقال : أنت أبا جهل (٨٢) ؟ قال ابن عليه : قال سليم : هكذا قال أنس « رضى الله عنه » وهو واضح ، وهو مما روى بلفظه لا بمعناه (٨٣) •

ومما يحكى عن الامام أبى حنيفة « رضى الله عنه » أنه سئل عن انسان رمى انسانا بحجر فقتله : هل يجب عليه القود (٨٤) ؟ فقال ،

---

(٨٠) انظر : أمالى السهيلى : ص ١١٤ ، وشرح المفصل:ابن يعيش ٥٣/١ ، شرح التسهيل : ابن مالك ٤٩/١ ، وشواهد التوضيح ص٩٧، وشرح الألفية للمرادى ٧٥/١ ، والمصباح المنير (أ ب) ٢/١ •

(٨١) شواهد التوضيح : ص ٩٧ •

(٨٢) صحيح البخارى : كتاب المغازى : باب قتل أبى جهل ٥/٣ •

(٨٣) شرح الشواهد : العينى ٧/١ •

(٨٤) القود : القصاص •

لا ، ولو رماه بأبا قبيس (٨٥) ــ بالألف على هذه اللغة ــ يقول الأنبارى « ت ٥٧٧ هـ » « لأن أصله : أبو ، فلما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبوها ألفا بعد اسكانها اضعافا لها » (٨٦) .

وقولهم : مكره أخاك لا بطل (٨٧) .

وجاء على هذه اللغة قول الشاعر :

أخاك الذى ان تدعه لملمة يجبك لما تبغى ويكفيك من يبغى (٨٨)

وقول الراجز : ان أباها وأبا أباها (٨٩) .

هذا ، وقد حكيت لنا هذه اللغة كذلك عن قبيلة : « خثعم » ، وقبيلة : « زبيد » ، وهما من القبائل الكهلانية اليمنية (٩٠) .

---

(٨٥) أبو قبيس ، مصغر : جبل مشرف على الحرم المعظم من الشرق .

(٣٦) الانصاف فى مسائل الخلاف ١٨/١ . وشرح ابن عقيل ٤٧/١

(٨٧) هذا مثل ينسب الى حشنى خال بيهس الملقب بنعامة . والشاهد فيه « أخاك » حيث جاء على لغة القصر . وانظره فى : مجمع الأمثال للميانى ١٥٢/١ ، ٣١٨/٢ ، وشرح التسهيل لابن مالك ٤٩/١ ، وشرح الألفية للمرادى ٧٦/١ ، والهمع ٣٩/١ .

(٨٨) البيت من الطويل ، ولم أقف على قائله . والشاهد فيه قصر « الأخ » . وانظره فى شرح التسهيل ٤٩/١ .

(٨٩) تقدم هذا البيت ص ١١ ، والشاهد فيه قوله « وأبا أباها » على القصر ، ولو جاء على اللغة المشهورة لقيل « وأبا أبيها » . وانظره فى : الانصاف ١٨/١ .

(٩٠) دراسة اللهجات العربية القديمة د. داود سلوم ص٣٣ .

٣ ـ حذف نون اللذان واللتان فى حالة الرفع :

ترد الأسماء الموصولة فى لغات القبائل بأشكال مختلفة ، فمثلا « الذى » اسم موصول للمفرد يرد بصيغة « الذ » ، و « الذ » بكسر الذال وتسكينها ، و « الذى » بتشديد الياء . و « الذين » اسم موصول لجماعة الذكور تقع فى لغة طيىء وهذيل وعقيل معربة ، كاعراب جمع المذكر السالم ، فتكون « الذون » رفعا ، و « الذين » نصبا وجرا ، وفى لغة قيس تكون « ذوى » قائمة مقام « الذين » (٩١) .

وبنو الحارث بن كعب يحذفون نون « اللذان » و « اللتان » فى حالة الرفع ، فهم يقولون : هما اللذا قالا ذلك ، بحذف النون ، وهما اللتا قالتا ذلك . يوافقهم فى ذلك بعض ربيعة (٥٢) .

وعلى هذه اللغة جاء قول الأخطل :

أبنى كليب ان عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا (٩٣)

---

(٩١) الهمع ١/٨٣ ، الأشمونى ١/٦٨ ، ١٤٩ ، وشرح المفصل ٣/١٤٤ . الصحاح (لذذ) ١/٥٧٠ .

(٩٢) ارتشاف الضرب : ١/٥٢٦ ، وأوضح المسالك : ص ٢٨ ، وشفاء العليل ١/٢٢٢ ، وشرح شواهد العينى على الأشمونى ١/١٤٧ ، وخزانة الأدب ٢/٥٠٣ ، والتصريح بمضمون التوضيح ١/٣٢ .

(٩٣) البيت من الكامل ، وأراد بعميه : عمرو بن كلثوم الذى قتل عمرو بن هند ، ومرة بن كلثوم الذى قتل المنذر بن النعمان وأخاه ، وهما تغلبيان ، وهو فى شعره ١/١٠٨ ، وسر الصناعة ٢/٥٣٦ ، وقد نسب فى شرح المفصل ٣/١٥٤ ، وشرح شواهد العينى ١/١٤٧ للفرزدق .

وقوله أيضا :

هما اللتا لو ولدت تميـــم لقيل فخر لهم عميـــم (٩٤)

وقول بعضهم :

هما اللتا أقصدنى سهما هما (٩٥)

وهذا الحذف الذى جاء فى لغة بلحارث ليس للاضافة ولا للالتقاء الساكنين ، لأنه ليس بساكن نون التثنيـــة والجمع ، ولأن الأســـماء الموصولة لا يجوز أن تضاف الى ما كان من أى (٩٦) •

وانما جاء هذا الحذف تخفيفا للموصول لطوله بالصلة ، لكونهما كالشىء الواحد وأمن الالتباس بالمفرد •

ولهذا لا يجوز حذف النون من اسمى الاشارة « ذان ــ تان » للالتباس بالمفرد ولعدم الطول (٩٧) • وبهذا الحذف ــ كما يقول الفراء ــ صارت الصلة عوضا عن النون ، وهم يحذفون مما طال فى

---

(٩٤) هذان البيتان من الرجز ، وهما للأخطل أيضا • وانظرهما فى العينى ١/٤٢٥ ، والخزانة ٢/٥٠٣ ، وشرح الألفية للمرادى ١/١٩٤ •

(٩٥) لسان العرب (ذا) ٢/١٤٧٤ •

(٩٦) سر صناعة الاعراب ٢/٥٣٦ •

(٩٧) شرح شواهد العينى على الأشمونى ١/١٤٧ ، وشرح التسهيل ١/٦٦ ، وشرح المفصل ٣/١٥٤ ، وسر الصناعة ٢/٥٣٦ ، واللهجـــات العربية : د• عبد الغفار هلال ص ٣٣٧ •

كلاهم (٩٨) • ويرى الكوفيون أن هذا الحذف لغـــة ، طالت الصلة أم لم تطل (٩٩) •

ويعزو الدكتور ابراهيم أنيس البيت الأول : أبنى كليب ! •••• الى الفرزدق ،ويعجب من وقوع هذه الظاهرة فى شعر الفرزدق والأخطل قائلا : « لا ندرى كف وقعت مثل هذه الصفات اللهجية فى شعر الأخطل والفرزدق مع ما نعرف من حرص كل منهما على النظم باللغة النموذجية الأدبية ؟! » (١٠٠) ثم يلتمس لذلك تعليلا فيقول : « أليس من الممكن أن يكون بيت الفرزدق كما يلى :

أبنى كليب ان عمى اللذين قتلا الملوك وفككا الأغلالا

أى أن يروى الشطر الأول منتهيا بما يشبه نون الترنم ••• كذلك يمكن أن يروى بيت الأخطل رواية أخرى تنسجم مع صفات اللغة الأدبية التى نظم بها الشعراء فى كل العصور ، ولا تخرج فى الوقت نفسه عن مقاييس الشعر العربى » (١٠١) •

وفى اعتقادنا أن وقوع مثل هذه الصفات اللهجية فى شعر الأخطل لا غبار عليه ، خاصة اذا علمنا أن الأخطل من « تغلب » و « تغلب » من « ربيعة » ، وقد نسبت هـــذه الظاهرة ـــ كما ذكرنا ـــ الى بعض ربيعـــة •

---

(٩٨) همع الهوامع ٤٩/١ •

(٩٩) خزانة الأدب ٤٩٩/٢ •

(١٠٠) فى اللهجات العربية ص ١٣٥ •

(١٠١) المصدر السابق ص ١٣٥ •

كما أنه لا غرابة فى أن ينظم الشاعر بلغة قومه ، فقد جاء كثير من الشعر العربى على هذا النمط .

ونسبة البيت الأول الى الفرزدق — كما ذكر الدكتور أنيس — غير سديدة ، والصواب أنه للأخطل ، كما ذكرنا .

وأما ما ذكره هذا الباحث من تعليل لهذه الظاهرة فلا دليل عليه ، ولم هذا التعليل الغريب وقد عذيت الظاهرة الى بنى الحارث بن كعب وبعض ربيعة ، كما أنه لم يدلنا على الرواية التى يمكن أن يروى بها البيت الثانى .

٤ — حذف ألف « على » الجارة ولامها اذا تلاها معرف بأل القمرية :

اذا كانت بلحارث بن كعب قد حذفت نون التثنية من « اللذان واللتان » وغيرها اختصارا : فاننا نجدها تحذف ، ولكن على صورة أخرى ، فهى تحذف اللام والألف من « على » الجارة اذا وليها ساكن « معرف بأل القمرية » ، فيقولون : « ركبت علفرس » فى « على الفرس » (١٠٢) . واستشهد لها ابن يعيش « ت ٦٤٣ هـ » بقولهم : « علماء بنو فلان يريدون : « على الماء » (١٠٣) .

ويقول سيبويه فى آخر كتابه : « ومثل هذا قول بعضهم : علماء بنو فلان ، فحذف اللام : يريد : على الماء بنو فلان ، وهى عربية » (١٠٤) .

---

(١٠٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام : د. جواد على ٥٧٨/٨ وفى اللهجات العربية : د. أنيس ص ١٣٦ .

(١٠٣) شرح المفصل : ١٥٥/١٠ .

(١٠٤) الكتاب ٤٨٥/٤ .

وأنشد الزمخشري « ت ٥٣٨ هـ » قول قطري بن الفجاءة :

غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم (١٠٥)

وعليها جاء قول الفرزدق :

وما سبق القيسي من سوء سيرة ولكن طفت علماء غرلة خالد (١٠٦)

والأصل في البيتين : « على المـاء » . حذفت همزة الوصل من « المـاء » لأنها تسقت في الدرج ، وحذفت ألف « على » لالتقائها ساكنة مع لام المعرفة الساكنة ، ثم حـذفت لام « على » كراهة اجتمـاع المثلين (١٠٧) . ولم يمكن الادغام ، لأن المتحرك لا يدغم في الساكن ، فحذفت اللام الأولى طلبا للتخفيف .

ويقول المبرد « ت ٢٨٥ هـ » في ذلك : «ان العرب اذا التقت في مثل هذا الموضع لامان استجازوا حذف احداهما استثقالا للتضعيف ، لأن ما بقي دليل على ما حذف » (١٠٨) .

---

(١٠٥) عجنا : عطفنا ـ وبكر بن وائل بن قاسـط : جد جاهلي من ربيعة ـ وتميم : هو تميم بن مرجد جاهلي أيضا . والبيت في : المفصل ص ٤٠٥ ، وانظـره في : الكامل ٢/٢١٧ ط بيروت ، وشرح المفصـل ١٠/١٥٥ .

(١٠٦) أراد بالقيسي عمر بن هبيرة الفزاري ، وخالد : هو خالد بن عبد الله القسري . ومعنى طفت : ارتفعت وعلت . والغرلة : جلدة الذكر والبيت في ديوانه ٢١٦ ، والمقتضب ١/٢٥١ ، وابن يعيش ١٠/١٥٥

(١٠٧) شرح المفصل ١٠/١٥٥ ، واللهجات العربية : د. عبدالغفار هلال ص ٣٧٣ .

(١٠٨) الكامل : ٢/٢١٨ ط بيروت .

ويقول ابن الشجرى « ت ٥٤٢ هـ » : « ومما حذفوا من الحروف لاجتماعها مع لام التعريف ، لأم « على » فيما حكاه سيبويه من قولهم: علماء بنو فلان ، يريدون : على المـاء فهمزة الوصل سقطت فى الدرج، وألف « على » سقطت لسكونها ، وسكون لام « المـاء » ، وحذفت لام « على » تخفيفا » (١٠٩) .

ون شواهد هذه اللغة أيضا ، قول سلمة بن عبد الله العدوى :

فردد الهدر وما أن شحشحا يميل « علخدين » ميلا مصفحا (١١٠)

أى يميل على الخدين ، فحذف .

وقول الآخر :

وللموت خير لا مـرىء من حيـاته بدارة ذل علبلايا يوقر (١١١)

يريد : على البلايا .

ونلمح هذه الظاهرة اليوم فى بعض قرى الصعيد ؛ حيث يقولون: شفته عشاطىء ، وتعال نعوم علميه ، كما نلحظها أيضـا فى العـامية العربية ؛ حيث يقال فيها — مثلا — : « علباب » ، و « علمكتب » ،وغير ذلك .

---

(١٠٩) أمالى بن الشجرى ٢/٤ ، وشرح المفصل ١٠/٥٥ .

(١١٠) الهدر : الصـوت فى الحنجـرة . والشحشح : الممسك البخيل . أى ما بخل بهديره . والمصفح : العريض وانظره فى : لسان العرب : (شحح) ٣/٢٢٠٥ .

(١١١) المعمرون والوصايا لأبى حتم السجستانى ص ٦٦

والقبائل العربية القديمة التي مالت الى الحذف ، ومنها الحارث بن كعب يغلب عليهم الحياة البدوية ، وتلك التي تجنح الى السرعة في كلامها ، وفي أثناء هذه العجلة السريعة تتساقط بعض حروف الكلمات سرعى ، فتخف حمولة الكلمة ومئونتها على المتكلم ، وهذا ينسجم مع طبع البدوى الذى يميل الى الاقتصاد في المجهود عند نطقه (١١٢) .

وترجع هذه الظاهرة الى ميل اللغة العربية الى التخلص من توالى المقاطع المتماثلة ، فتحذف واحدا منها ، وهذا ما يسميه اللغويون العرب بكراهة توالى الأمثال . ويقصد بالمقاطع المتماثلة هنا ، ما يشمل المقاطع ذات الأصوات الصامتة المتماثلة ، أو المتقاربة في المخارج . والسبب في هذا صعوبة تتابع المقاطع والأصوات المتماثلة في النطق (١١٣) .

يقول بروكلمان : « اذا توالى مقطعان ، أصواتهما الصامتة متماثلة ، أو متشابهة جدا ، الواحد بعد الآخر في أول الكلمة ، فانه يكتفى بواحد منهما ، بسبب الارتباط الذهنى بينهما » (١١٤) .

٥ ــ ابدال السين ياء في بعض ألفاظ العدد :

من الخصائص اللغوية التي رويت عن قبيلة بنى الحارث بن كعب أنهم يبدلون السين ياء في ألفاظ العدد : خامس ، وسادس ومؤنثة (١١٥) .

---

(١١٢) اللهجات العربية في التراث ٢/٧٠٥ ، ٧٠٦ .

(١١٣) بحوث ومقالات : د. رمضان عبد التواب ص ٢٧ .

(١١٤) فقه اللغات السامية ص ٧٩ .

(١١٥) القلب والابدال لابن السكيت ضمن الكنز اللغوى ص ٥٩، ٦٠ ، وتهذيب الألفاظ ص ٥٩٠ .

وعلى لغتهم جاء قول الحادرة ، واسمه قطبة بن أوس :

مضى ثلاث سنين منذ حل بها ... وعام حلت وهذا التابع الخامى(١١٦)

قال ابن برى « ت ٥٨٢ هـ » : « الخامى : الخامس (١١٧) • يقال: جاء فلان خامسا وخاميا ، يبدلون من السين ياء » (١١٨) •

وقول الشاعر :

اذا ما عد أربعة فسال ... فزوجك خامس وأبوك سادى (١١٩)

يقول ابن السكيت « ت ٢٤٤ هـ » : « تقول : جاء فلان خامسا وخاميا ، وجاء فلان سادسا وساديا ، فمن قال : ساديا وخاميا أبدل من السين ياء (١٢٠) •

---

(١١٦) البيت من البسيط ، وفيه يتحدث عن منازلهم • وانظره في القلب والابدال ص ٦٠ ، واصلاح المنطق ص ٣٠١ ، وشرح جمل الزجاجى ٢/م٣ ، وسر الصناعة : ٢/٧٤٢ ، ولسان العرب : (خمس) ٢/١٢٦٢ و (خما) ٢/١٢٧٠ •

(١١٧) المصدر السابق (خما) ٢/١٢٧٠ •

(١١٨) المصدر السابق : (خمس) ٢/١٢٦٢ •

(١١٩) ينسب هذا البيت الى النابغة الجعدى يهجو ليلى الأخيلية ، والى امرىء القيس • والفسال : جمع فسل وهو الرذل من الرجال • وانظره فى : اصلاح المنطق ص ٣٠١ ، وشرح المفصل ١٠/١٤ ، ٢٨ ، وسر الصناعة ٢/٧٤١ ، وملحقات ديوان امرىء القيس ص ٤٥٩ ، والممتع لابن عصفور ١/٣٦٨ •

(١٢٠) اصلاح المنطق ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ •

وقول الآخر :

بويزن أعوام أذاعت بخمسة وتعتدنى ان لم يق الله ساديا (١٢١)

أى : سادسا • وروى عن الكسائى « ت ١٨٩ هـ » أنه سمع أعرابيا يقول : فكانت آخر ناقة نحرها والدى أو جدى « سادية وستين » (١٢٢) • يريد : سادسة وستين •

وقالت امرأة من بنى الحارث بن كعب فى وقعة أوقعتها بنوعا من ببنى الحارث بن كعب ، فأصابوا فيهم ، فبكت عليهم وقالت :

يالهف نفسى لهفا غير ما كذب على فوارس بالبيداء أنجاد

كعب وعمرو وعبدالله بينهما وابناهما خمسة، والحارث السادى (١٢٣)

أرادت : والحارث السادس ، فأبدلت من السين ياء •

والواقع أنه لا ابدال بين السين والياء ، لعدم وجود علاقة صوتية تتمثل فى التقارب فى المخرج أو التماثل فى معظم الصفات الصوتية • يقول ابن سيده « ت ٤٥٨ هـ » : « ما لم يتقارب مخرجاه

---

(١٢١) البيت لرجل من بنى الحارث كانت له امرأة تقارعه ويقارعها أيهما يموت قبل ، وكان تزوج نساء قبلها فمتن ، وتزوجت هى أزواجا قبله فماتوا • وبويزن أعوام : مسنة • أذاعت : أبعدتهم فهلكوا • وانظره فى تهذيب الألفاظ ص ٥٩٠ ، وشرح جمل الزجاجى ٢/٣٩ ، وسر الصناعة ٢/٧٤١ •

(١٢٢) القلب والابدال لابن السكيت ضمن الكنز اللغوى ص ٦٠ •

(١٢٣) المصدر السابق ص ٦٠ ، وتهذيب الألفاظ ص ٥٩٠ ، وسر الصناعة ٢/٧٤٢ •

البتة فقيل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلا ، وذلك كابدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق » (١٢٤) • وقد خص مالم يتحقق فيه شرط تقارب المخرج بباب عنون له بقوله : « ما يجيء مقولا بحرفين ليس بدلا » (١٢٥) •

وعلى هذا فكل منهما لغة قوم كما قال ابن منظور « ت ٧١١ هـ » : « والسادى : السادس فى بعض اللغات » (١٢٦) •

هذا ، وبالله التوفيق •••

اعداد

الدكتور / محمد علام محمد

المدرس بقسم أصول اللغة بكلية اللغة العربية بأسيوط

---

(١٢٤) المخصص ٢٧٤/١٣ •

(١٢٥) المصدر السابق ٢٧٤/١٣ •

(١٢٦) لسان العرب (سدا) ١٩٧٩/٣ •

أهم مراجع البحث

١ ــ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان ــ ت د٠ مصطفى النحاس ــ ط (١) ١٩٨٤م القاهرة ٠

٢ ــ الاشتقاق لابن دريد ــ ت عبد السلام هارون ــ ط القاهرة ١٩٥٦م ٠

٣ ــ اصلاح المنطق لابن السكيت ــ ط (١) دار المعارف بمصر ٠

٤ ــ الأصمعيات ــ ت عبدالسلام هارون ، وشاكر ــ ط دار المعارف بمصر ٠

٥ ــ اعراب الحديث النبوى للعكبرى ــ ت عبد الاله نبهان ــ ط دمشق ١٩٧٧م ٠

٦ ــ اعراب القرآن للنحاس ــ ت د٠ زهير غازى زاهد ــ ط (٢) ١٩٨٥م عالم الكتب ــ بيروت ٠

٧ ــ الأعلام للزركلى ــ ط (٣) بيروت ٠

٨ ــ أمالى السهيلى ــ ت محمد ابراهيم البنا ــ ط (١) ١٩٧٠م ــ مطبعة السعادة بالقاهرة ٠

٩ ــ أمالى ابن الشجرى ــ ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٩ هـ ٠

١٠ ــ الأنساب السمعانى ــ نشر مكتبة المثنى ببغداد ٠

١١ ــ الانصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى ــ ت محمد محى الدين عبد الحميد ــ ط دار الفكر ٠

١٢ ــ أوضح المسالك لابن هشام ــ ط مكتبة الآداب بالقاهرة ١٩٨٢م

١٣ ــ بحوث ومقالات : د٠ رمضان عبد التواب ــ ط (٢) ١٩٨٨م ــ مكتبة الخانجى بالقــاهرة ٠

١٤ ــ تاج اللغة وصــحاح العربية للجوهرى ــ ت أحمد عبد الغفور عطا ر ــ ط دار العلم للملايين ــ بيروت ٠

١٥ ــ التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ــ ط عيسى الحلبى باقــاهرة ٠

١٦ ــ تفسير البحر المحيط لأبى حيان ــ ط (٢) ١٩٨٣م ــ طبــع دار الفــكر ٠

١٧ ــ توضيح المقاصد والمسالك للمرادى ــ ت د٠ عبد الرحمن على سليمان ــ ط (٢) بالقاهرة ٠

١٨ ــ الجامع لأحــكام القرآن الكريم (تفســير القرطبى) ــ نشر دار الغد العربى بالقاهرة ٠

١٩ ــ الجمل للزجاجى ــ ت د٠ على توفيق الحمد ــ ط (٢) ١٩٨٥م ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ٠

٢٠ ــ جمهرة أنســاب العرب لابن حــزم الأندلسى ــ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٩٨٣م ٠

٢١ ــ جمهرة اللغة لابن دريد ــ ط (١) ١٣٤٤هـ ٠

٢٢ ــ خزانة الأدب للبغدادى ــ ط بيروت ٠

٢٣ ــ الخصــائص لابن جنى ــ ت محمــد على النجــار ــ ط (٢) دار الهدى ــ بيروت ٠

٢٤ ــ دراسات اللهجات العربية القديمة : د٠ داود سلوم ــ ط (١) ١٩٨٦م ــ عالم الكتب ــ بيروت ٠

٢٥ ــ ديوان امرىء القيس ــ ت محمد أبو الفضل ابراهيم ــ ط (٢) دار المعارف ١٩٦٤م ٠

٢٦ ــ ديوان الفرزدق ــ نشر عبد الله اسماعيل الصاوى ــ القاهرة ١٩٣٦م ٠

٢٧ ــ الروض الأنف للسهيلى ــ نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٩٧١م ٠

٢٨ ــ سر صناعة الاعراب لابن جنى ــ ت حسن هنداوى ــ ط (١) ١٩٨٥م دار القلم : دمشق ٠

٢٩ ــ سنن النسائى ــ ط (١) ١٩٤٠م ــ المطبعة المصرية بالأزهر ٠

٣٠ ــ شرح الأشمونى على الألفية ــ ط عيسى الحلبى بالقاهرة ٠

٣١ ــ شرح الألفية لابن عقيل ــ ت الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى ــ دار القلم ــ بيروت ٠

٣٢ ــ شرح التسهيل لابن مالك ــ ت د٠ عبد الرحمن السيد ــ ط (١) ١٩٧٤م ــ مكتبة الأنجلو ٠

٣٣ ــ شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ــ ت د٠ صاحب أبو جناح ط بغداد ١٩٨٢م ٠

٣٤ ــ شرح الكافية الشافية لابن مالك ــ ت د٠ عبد المنعم هريدى ــ ط المأمون للتراث ٠

٣٥ ــ شرح الكافية فى النحو للرضى ــ ط دار الكتب العلمية بيروت.

٣٦ ــ شرح شواهد العينى على الأشمونى ــ ط عيسى الحلبى .

٣٧ ــ شرح المفصل لابن يعيش ــ ط عالم الكتب ــ بيروت .

٣٨ ــ شفاء العليل فى ايضاح التسهيل للسلسيلى ــ ت د. الشريف عبد الله على الحسينى ــ ط (١) ١٩٨٦م مكة المكرمة .

٣٩ ــ شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ــ ت محمد فؤاد عبد الباقى ــ ط (٣) ١٩٨٣م عالم الكتب ــ بيروت .

٤٠ ــ الصاحبى لابن فارس ــ ت السيد أحمد صقر ــ ط عيسى الحلبى بالقاهرة .

٤١ ــ صبح الأعشى للقلقشندى ــ ط دار الكتب ١٩٢٢م .

٤٢ ــ صحيح البخارى بحاشية السندى ــ ط دار احياء الكتب العربية ــ عيسى الحلبى .

٤٣ ــ صفة جزيرة العرب للهمدانى ــ ط ايدن ، و ط القاهرة ــ ت محمد بليهد النجدى .

٤٤ ــ عوامل التطور اللغوى د. أحمد عبد الرحمن حماد ــ ط (١) ١٩٨٣م ــ دار الأندلس ــ بيروت .

٤٥ ــ العقد الفريد لابن عبد ربه ــ ت د. عبد المجيد الترحينى ــ ط (١) ١٩٨٣م دار الكتب العلمية .

٤٦ ــ فقه اللغات السامية ، لكارل بروكلمان ــ ترجمة د٠ رمضان عبد التواب ــ الرياض ١٩٧٧م ٠

٤٧ ــ في اللهجات العربية : د/ ابراهيم أنيس ــ ط (٥) ــ نشر مكتبة الأنجلو ٠

٤٨ ــ القلب والابدال لابن السكيت ضمن الكنز اللغوى ــ نشر هفنر ٠

٤٩ ــ الكامل في اللغة والأدب للمبرد ــ ت محمد أبو الفضل ابراهيم ــ ط القاهرة ١٩٥٦ م ، ط بيروت ٠

٥٠ ــ الكتاب لسيبويه ــ ت عبد السلام محمد هارون ــ ط (٢) ١٩٨٢م القاهرة ٠

٥١ ــ كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ــ ت د٠ شوقي ضيف ــ ط (٢) دار المعارف بمصر ٠

٥٢ ــ كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكى بن أبى طالب ــ ت د٠ محى الدين رمضان ــ ط (٢) ١٩٨٤م ٠

٥٣ ــ لسان العرب لابن منظور ــ ط دار المعارف بمصر ٠

٥٤ ــ اللهجات العربية في التراث د٠ أحمد علم الدين الجندى ــ ط الدار العربية للكتاب بليبيا ٠

٥٥ ــ اللهجات العربية نشأة وتطورا / د٠ عبد الغفار حامد هلال ط (٢) ١٩٩٠م ٠

٥٦ ــ ليس فى كلام العرب لابن خالويه ــ ت أحمد عبد الغفور عطار ــ ط (٢) ١٩٧٩م •

٥٧ ــ المبهج فى تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة لابن جنى ــ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت •

٥٨ ــ المصباح المنير للفيومى ــ ط دار الكتب العلمية بيروت •

٥٩ ــ المعمرون والوصايا لأبى حاتم السجستانى ــ ت عبد المنعم عامر ــ القاهرة ١٩٦١م •

٦٠ ــ النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ــ بيروت ١٩٨٤م •

٦١ ــ همع الهوامع للسيوطى ــ ط دار المعرفة ــ بيروت •